الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

قال رحمه الله تعالى:

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه» ، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه فأُتي به ، فبصق في عينيه ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال : «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » يدوكون: أي يخوضون .

****

هذا الحديث – حديث سهل بن سعد رضي الله عنه – أورده المصنف الإمام المجدِّد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى تحت الترجمة التي عقدها بعنوان «باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله» ؛ وهي ترجمة كما سبق أن عرفنا عقدها رحمه الله لبيان أهمية الدعوة إلى التوحيد وأنه وظيفة النبيين وأتباعهم . وتحت هذه الترجمة أورد الإمام رحمه الله تعالى حديث ابن عباس رضي الله عنهما في ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن ، ثم أورد حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه في ذكر وصية النبي عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب يوم خيبر يوم أعطاه الراية – راية القتال – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه . وهذا الحديث حديث سهل رضي الله عنه حديثٌ عظيم في بيان مكانة الدعوة إلى التوحيد وفضل الدعاة إلى التوحيد وعظم ثوابهم عند الله تبارك وتعالى وما أعد لهم سبحانه من أجور كبيرة وثواب جزيل .

قال سهلٌ رضي الله عنه : ((**إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر**)) ؛ «يوم خيبر»: أي يوم غزوة خيبر وهي غزوة كانت بين المسلمين واليهود في منطقة خيبر المعروفة .

في ذلك اليوم يوم خيبر قال النبي عليه الصلاة والسلام :

«**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه ، ويحبُّه اللهُ ورسولُه ، يفتح الله على يديه**» تضمَّن هذا الكلام بشارة عظيمة بالفتح؛ فتح خيبر ، وأيضاً تضمن إخباراً عن رجل يعطيه صلى الله عليه وسلم الراية في يوم الغد من يوم حديثه عليه الصلاة والسلام ، ووصف ذلك الشخص بأنه يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله ؛ وهذا فيه – كما بيَّن أهل العلم وسيأتي إيضاحه – علَم من أعلام نبوة نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام ، وفيه أيضاً بشارة عظيمة بالفتح وأن خيبر تُفتح في يوم الغد من يوم حديثه عليه الصلاة والسلام ؛ فبشرهم بذلك صلوات الله وسلامه عليه .

قال : ((**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله**)) أي هذه صفته :

«**يحب اللهَ ورسولَه**» ؛ وهذا فيه تتميم هذا الرجل لمقام الإيمان ؛ لأن محبة الله ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام عليها قيام الدين ، فمن أحب الله صادقاً أخلص له الدين ، ومن أحب الرسول صلى الله عليه وسلم صادقاً اتبعه وسار على نهجه . فالذي يتخذ الشركاء مع الله محبته لله سبحانه وتعالى ليست صادقة ، لأنه لو صدق في محبته له لصَفَت المحبة وكانت نقية ولم يجعل مع الله سبحانه وتعالى أحداً أو شركاء ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] ؛ لأن محبة المؤمنين لله محبةٌ خالصة ، ومحبة المشركين لله محبةٌ اتُخِذ فيها مع الله شركاء وأنداد فلم تكن خالصة ، فمحبة الله عندما تقوم في القلب بصدق يترتب على وجودها وجود الإخلاص لله سبحانه وتعالى ، والمحبة الصادقة للنبي عليه الصلاة والسلام تقتضي اتباعه والسير على نهجه . أما أن يدَّعي محبته صلى الله عليه وسلم ولا يتبعه فهذا أمارة على عدم صدق هذه المحبة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١] . فإذاً وصْف النبي عليه الصلاة والسلام لهذا الشخص بأنه يحب الله ورسوله فيه التنبيه على تتميم الإيمان وتكميله .

«**ويحبُّه اللهُ ورسولُه**» ؛ وهذا ثواب تلك المحبة وأثرها وثمرتها ، فهو يحب الله ورسوله ، والله سبحانه وتعالى يحبه ورسوله صلى الله عليه وسلم يحبه .

قال ((يحبُّ الله ورسوله ، ويحبُّه الله ورسوله)) وهذا فيه إثبات المحبة لله صفةً تليق بجلاله ، وهي صفة ثابتة في القرآن والسنة قال الله تعالى :﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة:٥٤] ، فهي صفة ثابتة في القرآن وفي سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، وفي الحديث القدسي : ((مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)) .

قال « **يفتح الله على يديه** » أي أن فتح خيبر يكون على يدي هذا الرجل الذي وُصف بذلك الوصف العظيم.

قال : ((**فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها**)) ؛ يدوكون : أي يخوضون . انشغلوا تلك الليلة بالتساؤل عن من الذي سيُعطى الراية ومن الذي سيحظى بهذا الشرف العظيم والمنقبة الكريمة ؟ أيهم الذي يعطاها ؟ وكانوا جميعاً يتطلَّعون إلى هذا الأمر ، وكل واحد منهم حريص عليه لا لشيء إلا لهذا الوصف العظيم والشهادة العظيمة «يحب اللهَ ورسوله ويحبه اللهُ ورسوله» ؛ فكانوا في أشد ما يكون من الحرص على أن يحظوا بذلك ، حتى إن عمر رضي الله عنه قال : «ما أحببت الإمارة إلا يومئذ» حرصاً على هذه الشهادة العظيمة شهادة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى يحب كل مؤمن، والرسول صلى الله عليه وسلم يحب كل مؤمن ، لا يختص هذا الحب بشخص دون غيره ، لكن هذه الشهادة لها مكانة ولَّدت في نفوس الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم هذا الحرص العظيم؛ فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، حتى إن البشارة بالفتح وهو أمر عظيم جداً لم تنشغل أذهانهم به ، ولم ينشغلوا بالحديث عن الفرح بهذه البشارة ، وإنما انشغلوا في من الذي سيحظى بهذا الشرف ويُعطى الراية .

((**فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها**)) أي جاءوا الصباح مبكرين لمجلس النبي عليه الصلاة والسلام كل واحد منهم يطمع أن يعطى الراية .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((**أين علي بن أبي طالب ؟**)) وهذا فيه تفقُّد الوالي رعيته وسؤاله عنهم ومعرفته بأحوالهم .

((**قال أين علي بن أبي طالب ؟ قيل : هو يشتكي عينيه**)) وجاء في بعض الروايات الأخرى أنه رضي الله عنه كان رِمِداً أي مصاباً بالرمد في عينيه ، وجاء في بعض الروايات أنه ما كان يبصر الطريق من شدة ما أصاب عينيه من الرمد ، وجاء أيضاً في بعض الروايات أن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل له سلمة بن الأكوع يأتي به ؛ فجاء به يقوده إلى أن أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

((**فأرسلوا إليه فأتي به**)) قوله «أتي به» يفسِّره ما جاء في الرواية الأخرى أن سلمة بن الأكوع أتى به يقوده، لا يرى الطريق من شدة الرمد الذي أصاب عينيه .

((**فبصق في عينيه**))؛ بصق النبي عليه الصلاة والسلام في عينيه ، وريقه عليه الصلاة والسلام وكل ما انفصل منه وخرج منه كله بركة ، وهذا أمر خصه الله سبحانه وتعالى به .

((**ودعا له**)) أي دعا الله سبحانه وتعالى أن يشفيه؛ وهذا فيه تنبيهٌ إلى التوحيد وأنَّ الشفاء بيد الله ، وأنَّ النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك شفاءً لأحد ، الشفاء بيد الله وهو تبارك وتعالى الشافي لا شفاء إلا شفاؤه ، وكان عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح إذا أُتي بمريض قال: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي،

لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا» أي لا يُبقي علَّة ولا يبقي أثرًا . فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يملك شفاءً لأحد والشافي هو الله سبحانه وتعالى ، ولهذا قال : «ودعا له» أي دعا الله له أن يشفيه .

وبهذه الجملة يُدرَك فساد من يتعلقون بغير الله طلبا للشفاء ؛ كأن يقول مريضٌ : يا رسول الله اشفني ، أو يخاطب وليًا من الأولياء يطلب منه شفاء ؛ فهذا كله من الشرك بالله ؛ لأن الشفاء بيد الله سبحانه وتعالى ، والشافي هو الله ، و«الشافي» اسم من أسماء الله ، لا شافي إلا هو ، لا شفاء إلا شفاؤه سبحانه وتعالى .

قال: ((**ودعا له فبرئ كأن لم يكن به وجع**)) بَرِئَ: أي شُفي شفاه الله . «بَرِئَ» و«بَرَأَ »كلاهما صحيح على وزن ضَرَبَ وعلى وزن عَلِمَ ؛ برأَ وبرِئ : أي شفي من هذا الرمد الذي أصابه . ودعا أيضا له كما ثبت في أحاديث أخرى في تلك الساعة بقوله عليه الصلاة والسلام : ((اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ)) ، فكان رضي الله عنه بعد ذلك لا يحس ببرد ولا يحس بحر ، في شدة الشتاء القارص لا يجد شدة البرد ، وكذلك في شدة الحر لا يجد شدة الحر ، دعا له عليه الصلاة والسلام في تلك الساعة بأن يذهب الله عنه حره وبرده ، ودعا الله له أن يشفيه فبرئ كأن لك يكن به وجع ، وأخبر علي رضي الله عنه أنه بعد هذا الدعاء لم يُصَب بعد بصداع ولم يصب برمد؛ بعد دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له .

قال : ((**فأعطاه الراية**)) هذا فيه –كما قال أهل العلم – الإيمان بالقدر ؛ الصحابة كلهم الذين حضروا مجلس النبي عليه الصلاة والسلام عندما أعلن ذلك الخبر وأعلن البشارة وباتوا كل ليلتهم يخوضون أيهم يعطاها وجاءوا في الصباح مبكرين كل واحد منهم يرجو أن يعطى الراية ؛ لم ينل واحدٌ منهم الراية ، ونالها علي رضي الله عنه !! وما كان يخطر بالبال أن يُعطى علي الراية لأنه كان به رمد ولم يكن موجوداً ، لكن الذي كتبه الله سبحانه وتعالى وقدَّره هو أن يكون الراية من نصيبه رضي الله عنه وأرضاه . وهذا فيه أن العبد إذا فعل السبب لا يلتفت بقلبه إلى السبب ولا يعتمد على السبب وإنما يبذل الأسباب – مثل ما فعل الصحابة حرصوا ورغبوا وبكَّروا – يبذل السبب لكن لا يعتمد عليه . فهذا فيه الإيمان بالقدر ، الأمور بتقدير الله سبحانه وتعالى ، والذي على المرء في مثل هذا أن يفعل ما جاء في الحديث : ((احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا)) لأن هذه الكلمة «لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا» هذا التفات بالقلب إلى الأسباب ، وما يدريك لو أنك فعلت هذا الذي تقوله ربما كان الأمر أسوأ أو أشد ، فهذا التفات بالقلب إلى الأسباب . فإذاً في هذا السياق العظيم الإيمان بالقدر وأن الأمور بقدر الله سبحانه وتعالى ، والعبد عليه أن يبذل الأسباب الصحيحة ويجتهد في فعل الأسباب الصحيحة ولن يكون إلا ما قدَّره سبحانه وتعالى .

قال: ((**فأعطاه الراية**)) لأن الله سبحانه وتعالى قضى وقدَّر أن تكون الراية تعطى لعلي رضي الله عنه .

((فأعطاه الراية)) وهذا فيه كما نبه المصنف رحمه الله فضيلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه منقبة جليلة له. وأهل السنة قاطبة يعرفون فضله ومكانته ، وفضل زوجه فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ،

وفضل ابنيهما الحسن والحسين ، وفضل آل البيت ، ويحفظون وصية النبي صلى الله عليه وسلم فيهم يوم غدير خُم حينما أوصى الناس بكتاب الله جل وعلا قال : ((وأهل بيتي)) يكررها عليه الصلاة والسلام . فأهل السنة أعظم الناس حفظاً لهذه الوصية ومعرفةً بفضل آل البيت ومكانتهم ومنزلتهم العلية .

وأقول في هذا المقام شهادة حق أتقرَّب إلى الله سبحانه وتعالى بإعلانها عن هذا الإمام المجدد رحمه الله تعالى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؛ رجل عُرف بالمحبة الصادقة لآل البيت ، ومن يقرأ كتبه وسيرته وأخباره يرى ذلك جلياً ، أما الذي يتلقف الأخبار من الخصوم والأعداء فإنه سيكون الأمر عنده بخلاف ذلك ، والله جل وعلا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦] . فخصوم الشيخ قديماً وحديثاً إلى يومنا يرجمونه ويصفونه كذباً وبهتاناً وزوراً بأنه يعادي آل البيت ويبغض آل البيت ويشتم آل البيت ؛ وحاشاه رحمه الله تعالى أن يكون كذلك ، بل هذا أمرٌ برَّأ الله سبحانه وتعالى أهل السنة قاطبة منه ؛ فهم يعرفون لآل البيت قدرهم ومنزلتهم ومكانتهم ، وهذه المحبة الصادقة بثَّها في كتبه في مواضع يراها جليةً من يقرأ كتب الشيخ رحمه الله تعالى ، وأيضاً من يقرأ سيرته يدرك محبته لآل البيت .

لكن قد يقول قائل : لماذا بُثَّت هذه الدعايات حوله ؟ ما السبب ؟ ومن يطالع يدرك ذلك ؛ كان رحمه الله داعيةً للتوحيد والإخلاص لله ويبين للناس في كل مقام أن العبادة حق لله وأنه لا يُدعى إلا الله ولا يُستغاث إلا بالله ولا يُذبح إلا لله ولا يُنذر إلا لله ، لا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله ؛ لا لنبي مقرَّب ولا لملك مرسل ولا لولي من الأولياء ولا لأحد من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم ، فكان يبين أن العبادة حق لله ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨] ، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأحقاف:٥] ، ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣] ، كان يبين ذلك . فمن كان مبتلىً بعبادة الأولياء والتقرب لآل البيت عدَّ ذلك سبًّا لآل البيت وانتقاصاً لهم ، عندما يقول رحمه الله "لا يجوز صرف العبادة لأحد غير الله ، لا لآل البيت ولا لغيرهم" اعتبروا ذلك سبًّا لآل البيت وانتقاصًا لهم ، مع أنَّ آل البيت -علي وفاطمة والحسن والحسين وغيرهم- لا يرضون أن يُعبَدوا مع الله وأن يُتخَذوا أندادا وشركاء مع الله يُدعَون من دون الله ويُذبح لهم ويستغاث بهم لا يرضون بذلك ولا يقبلون ذلك أبداً ، وحاشاهم أن يرضوا أن يُتخذوا شركاء مع الله يُصرَف لهم من العبادة ما هو حق الله سبحانه وتعالى .

فمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان ينكر ذلك أشد الإنكار ويقول "العبادة حق لله" ، فانظر التوازن والوسطية والاعتدال ؛ حفظ لآل البيت مقامهم ومكانتهم وفضلهم وسمى أولاده بأسماء آل بيت النبي من شدة حبه لهم رحمه الله ورضي الله عنهم ، وفي الوقت نفسه يحذِّر من عبادة غير الله وينهى عن عبادة غير الله ويبين أن العبادة حق لله لا يجوز أن تُصرف لغيره كائنا من كان ؛ لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي من الأولياء ، العبادة حق لله

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة:٥] ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٣] ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦] .

قال سهل رضي الله عنه في هذا الحديث : ((**فأعطاه الراية فقال** : «**انفذ على رسلك**»)) أنفذ :أي امضي ، على رسلك : أي على مهلك ؛ وهذا فيه الوصية له بالأناة والتُّؤَدة والرفق ، انفذ على رسلك أي على مهلك بتؤدة وأناة .

((**حتى تنزل بساحتهم**)) وساحة القوم: هي الأرض التي حول بيوتهم وقريباً من بيوتهم والأفنية التي حولهم . حتى تنزل بساحتهم : يعني حتى تنزل بالمكان القريب من بيوتهم ومنطقتهم .

((**ثم ادعهم إلى الإسلام**)) وهذا موضع الشاهد من الحديث للترجمة وهي «باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله» ؛ فإنَّ قوله ((ثم ادعهم إلى الإسلام)) أي إلى توحيد الله . المراد بالإسلام هنا : أي التوحيد والإخلاص لله سبحانه وتعالى كما يفسر ذلك رواية أخرى للحديث قال : ((على ما أقاتلهم ؟ قال قاتلهم على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)) . فقوله ((ثم ادعهم إلى الإسلام)) أي ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ادعهم إلى توحيد الله .

والتوحيد هو رأس الأمر كما في حديث معاذ قال له النبي عليه الصلاة والسلام : ((أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ)) ، ما المراد بقوله «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ» ؟ أي التوحيد ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، هذا هو رأس الأمر وعليه قيام الدين ، وهو أول ما يُبدأ به في الدعوة إلى الله . قد مر معنا في حديث ابن عباس في ذكر وصية النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ عندما بعثه إلى اليمن قال له : ((إنك تأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)) وفي رواية ((أن يوحدوا الله)) . فقوله هنا ((ادعهم إلى الإسلام)) أي : ادعهم إلى التوحيد ، ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

«شهادة أن لا إله إلا الله» فيها توحيد الله عز وجل بالعبادة ، و«شهادة أن محمداً رسول الله» فيها توحيد النبي صلى الله عليه وسلم بالاتباع؛ فهما نوعان : توحيد المرسِل وتوحيد المرسَل . توحيد المرسِل أي الله: بإخلاص الدين له ، وتوحيد المرسَل وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم: بتجريد المتابعة له . يناقِض الأول الشرك ، ويناقض الثاني البدع .

فقال ((ادعهم إلى الإسلام)) أي ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؛ أن يخلصوا الدين لله وأن يقبلوا رسالة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام؛ فينطقوا بالشهادتين عالمين بمعناهما قابلين لمقتضاهما محققين لما دلا عليه .

قال : ((**ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه**)) في الإسلام ، يعني عندما يقبلوا الشهادتين ، يقبلوا الإسلام ، يقبلوا هذه الدعوة أخبرهم بما يجب عليهم . وهذا فيه الحكمة في الدعوة ، قال «بما يجب عليهم» يعني عندما يُدْعى يُخبر أن هذا واجب عليه ، أنت آمنت بأن التوحيد لله والمتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام فاعلم بأنَّ هناك أمور تجب عليه في هذا الدين أوجبها الله عليك وافترض سبحانه وتعالى عليك القيام بها ((فأخبرهم بما يجبل عليهم من حق الله فيه)) ؛ وهذا فيه التنبيه إلى أن من يُدعى إلى الإسلام يُدعى بعد قبوله للإسلام إلى ما يجب عليه في الإسلام ويُخبَر أن الإسلام فيه واجبات ؛ أوامر أوجب الله عليك أن تفعلها ونواهي أوجب الله عليك أن تجتنبها ، وهذا حق لله عليك في هذا الدين .

((**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم**)) حُمْر بإسكان الميم . وحمر النعم : هي النوق الحمراء وكانت تُعَدّ أنفس ما يُمتلك وأثمنه ؛ فذكر حمر النعم لأنها أنفس ما يملكون ، فذِكْرها تنبيهٌ بذلك أن هداية رجل واحد خير لك من الدنيا وما فيها ، لأنه خير لك من حمر النعم وحمر النعم هو أنفس شيء في الدنيا يملكونه، فمعنى ذلك : أن هداية رجل واحد خير لك من الدنيا وما فيها . إذا كان خير من حمر النعم وهو أنفس ما يكون فمعنى ذلك أنه خير من الدنيا وما فيها . وهذا فيه فضل الدعوة وفضل الدعاة وعظم ثوابهم عند الله سبحانه وتعالى .

وقوله ((**خير من حمر النعم**)) هذا للتقريب ، وإلا ثواب الدار الآخرة والثواب الذي أعده الله سبحانه وتعالى في الجنة لا يقارن بما في الدنيا ، ذرة من ذرات نعيم الآخرة ونعيم الآخرة لا تقارن بالدنيا كلها وما فيها ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة:١٧] ، ((فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)) ؛ فهذا ذُكر للتقريب ، وأيضاً ذُكر للتنبيه ؛ أنَّ النفس متطلِّعة لتحصيل التجارات الدنيوية والتنافس في الأرباح الدنيوية وتُقبِل على ذلك والتنافس على ذلك يتزايد ؛ فينبِّه أن هداية رجل واحد خير من الدنيا وما فيها، فكيف بمن أكرمه الله سبحانه وتعالى وهدى على يديه خلقاً إلى هذا الدين ، ومنَّ الله عليه بأن هدى على يديه خلْق لهذا الدين فدخلوا إلى دين الله تبارك وتعالى بسببه !! فهذا مما يحرك القلوب تحريكًا عظيماً للإقبال على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرة ؛ إخلاصاً لله وبعلم وببصيرة ومعرفة بهدي نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام.

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل : الأولى : أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا مستفاد من الآية الكريمة التي صدَّر بها رحمه الله تعالى هذه الترجمة وهي قوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ ؛ فيستفاد من هذه الآية الكريمة أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فأتباعه حقاً دعاة إلى الله لأنه قال: ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ ففيها أن أتباعه صلى الله عليه وسلم دعاة إلى الله سبحانه وتعالى .

الثانية : التنبيه على الإخلاص ، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق ، فهو يدعو إلى نفسه .

«**الثانية : التنبيه على الإخلاص**» أي فضله ومكانته وعظيم ثوابه ووجوبه وأنه أساس لقبول الأعمال ، وهذا مستفاد من قوله ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي دعوتي إلى الله ، لا أدعو إلى نفسي ولا أريد شيئاً لنفسي شهرةً أو سمعةً أو صيتاً أو أتباعاً أو غير ذلك ؛ ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي رسالتي وهدفي وغايتي أن يدخل الناس في دين الله تبارك وتعالى ؛ فهذا فيه التنبيه على الإخلاص، بمعنى : أن من يدعو إلى الله يخطب خطبةً يلقي كلمة يعظ موعظةً يكتب كتاباً يؤلف رسالةً إلى غير ذلك ينبغي أن يتنبه إلى الإخلاص بأن يكون مبتغاه بهذا العمل وجه الله والتقرب إليه ونيل رضاه سبحانه وتعالى .

قال: «**لأن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه**» ما معنى هذا الكلام ؟ قال «كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق» يعني الكلام الذي يقوله حق لا يدعو مثلا إلى بدعة وإنما الكلام الذي يدعو إليه حق ، مثل أن يدعو إلى الصلاة يدعو مثلا إلى الصيام يدعو إلى الأعمال الصالحة إلى بر الوالدين بالكلام الجميل إلى آخره لكن هو بهذه الدعوة «يدعو إلى نفسه» ما معنى ذلك ؟ يعني يفعل ذلك رياءً أو طلباً للشهرة أو طلباً للسمعة أو طلبا لكثرة الأتباع أو نحو ذلك ؛ فيكون ما يقوله ويتكلم به حق لكن نيته غير صحيحة؛ يريد شهرةً يريد سمعةً يريد رياءً يريد شيئاً من ذلك فقال «كثير من الناس وإن دعا فهو يدعو إلى نفسه» .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

وهذه أيضا مستفادة من الآية الكريمة ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ ؛ فذَكَر البصيرة صفةً لأتباعه ، واتِّباعه صلى الله عليه وسلم فريضة ، وصفة أتباعه أنهم على بصيرة ، فإذًا البصيرة فريضة من الفرائض . والبصيرة المراد بها : العلم والدراية والفهم بدين الله ، وليس المراد بالبصيرة هنا الإحاطة بعلوم الشريعة ؛ لكن أن يكون الإنسان على بصيرة وعلم بفرائض الإسلام وواجبات الدين وعلى علم بما يدعو الناس إليه ، فكل شيء يدعو إليه يكون عنده فيه بصيرة؛ أي حجة وبرهان وبيّنة من كلام الله وكلام رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيه الله تعالى عن المسبة .

«من دلائل حسن التوحيد» أي فضله وكماله وعظمته «كونه تنزيهاً لله عن المسبة»؛ وهذا مستفاد من قوله ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ ومعنى سبحان الله : أي أنزه الله . قال ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ . فإذاً من دلائل حُسن التوحيد كون التوحيد تنزيهاً لله عن المسبة ، ومعنى سبحان الله : أي أنزه الله عن شرك المشركين وكفر الكافرين ، أنزه الله عن ذلك وأقدسه تبارك وتعالى وأبرؤه وأعظِّمه جل وعلا، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] ؛ هذا تنزيه لله سبحانه وتعالى عن المسبة .

الخامسة : أنَّ من قُبح الشرك كونه مسبةً لله .

ولاشك في ذلك ؛ لأن المشرك هضَم مقام الربوبية ، وانتقص مقام الألوهية ، وأساء الظن برب العالمين ، فالشرك فيه لاشك المسبة . والتوحيد فيه التنزيه لله سبحانه وتعالى عن ذلك .

السادسة وهي من أهمها : إبعاد المسلم عن المشركين، لا يصير منهم ولو لم يشرك .

«السادسة وهي من أهمها» يؤكد رحمه الله على عظم شأن هذه المسألة ويلفت الانتباه إليها وهي أيضا مستفادة من الآية قوله ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؛ إبعاد المسلم عن المشركين ، هذا مأخوذ من قوله ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، ففي قوله ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك؛ وذلكم بالبراءة منهم ومن شركهم ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦] ، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الممتحنة:٤] فتبرؤوا منهم وتبرؤوا مما يعبدونه من دون الله . فإذًا في هذا إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك؛ أي أنه هذا المقام لا يكفي فيه ترك الشرك بأن يكون الإنسان لا يعبد غير الله ، بل يلزمه مع ذلك أن يتبرأ من المشركين .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

وهذه المسألة ومسائل تأتي بعدها مستفادة من حديث ابن عباس . انتهت الفوائد المستفادة من الآية وبدأ في الفوائد المستفادة من حديث ابن عباس قال : «كون التوحيد أول واجب» وهذا مستفاد من قوله : ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله))؛ فأول واجب على المكلف هو توحيد الله ، وأول ما يُدعى إليه هو توحيد الله الذي هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ومدلول شهادة أن لا إله إلا الله .

الثامنة : أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة .

«الثامنة : أنه يبدأ به –أي التوحيد– قبل كل شيء» يعني في الدعوة يبدأ بالتوحيد «قبل كل شيء حتى الصلاة» يعني حتى الصلاة مع مكانتها ومنزلتها العظيمة فإنه يُبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة ، قبل أن يدعو إلى الصلاة يدعو إلى التوحيد لماذا ؟ لأن التوحيد هو الأساس الذي تبنى عليه الصلاة ويبنى عليه الصيام وتبنى عليه جميع الطاعات ، وهذه الطاعات لو وُجدت بدون توحيد لم تُقبل ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] فإذًا به يُبدأ قبل كل شيء حتى الصلاة .

التاسعة : أن معنى «أن يوحدوا الله» معنى شهادة أن لا إله إلا الله .

لأن حديث ابن عباس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)) قال رحمه الله : ((وفي رواية إلى أن يوحدوا الله)) ؛ فبالجمع بين هاتين الروايتين يظهر هذا المعنى الذي قرره رحمه الله في هذه المسألة ؛ أن معنى يوحدا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله . فشهادة أن لا إله إلا الله هي شهادة التوحيد ، ومدلولها أن يوحَّد الله وأن يُخلص الدين له تبارك وتعالى .

العاشرة : أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها ، أو يعرفها ولا يعمل بها .

هذا مستفاد من الحديث نفسه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)) وهم أهل كتاب !! فإذًا أهل الكتاب قد يكون فيهم من لا يعرف «لا إله إلا الله» ، وقد يكون فيهم من يعرف «لا إله إلا الله» ولا يفهم معناها ، أو يعرفها ولا يعمل بها ؛ وكل هؤلاء يحتاجون أن يُدعَو إلى لا إله إلا الله وأن يبدأ معهم بها قبل غيرها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

هذا مستفاد من وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ قال له: أولاً التوحيد ثانياً الصلاة ثالثاً الزكاة ؛ فلم يأمره أن يخبرهم بهذه الأمور كلها دفعة واحدة ، ما قال له عليه الصلاة والسلام أخبرهم أن الله افترض عليهم التوحيد وافترض عليهم الصلاة وافترض عليهم الزكاة ، بل تدرج ، فلم يخبرهم بهذه الأمور دفعة واحدة .

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم .

هذا مأخوذ أيضاً من الوصية نفسها؛ بدأ بالتوحيد وهو الأهم ، ثم الصلاة ثم الزكاة؛ فهذا فيه البداءة بالأهم فالأهم .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

هذا من قوله : ((صدقة تؤخذ من أغنياءهم فتُرد إلى فقرائهم)) .

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم .

كشف العالم الشبهة عن المتعلم مستفادٌ من قول النبي عليه الصلاة والسلام : ((إنك تأتي قومًا أهل كتاب)) أي أن القوم سيكون عندهم شبهة فتنبَّه حتى تعمل على كشفها عنهم وإزالتها .

الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الأموال .

لقول النبي عليه الصلاة والسلام ((فإياك وكرائم أموالهم)) أي احذرها ، وأن تأخذ كرائم أموالهم أي نفيس الأموال وأفضل الأموال ؛ فنهاه عليه الصلاة والسلام عن ذلك .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .

اتقاء دعوة المظلوم من قوله : ((واتق دعوة المظلوم)) واتقاؤها بلزوم العدل ، فإذا لزم المرء العدل مع الناس يكون بذلكم اتقى دعوة المظلوم ، لكن إن كان لا يبالي بالعدل فيظلم هذا أو يظلم ذاك عرَّض نفسه لهذه الدعوة التي ليس بينها وبين الله حجاب .

السابعة عشرة : الإخبار بأنها لا تُحجَب .

لقوله في الحديث ((فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)) أي أنها دعوة مستجابة لا ترد .

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

«من أدلة التوحيد» أي وجوب توحيد الله وإخلاص الدين له وعدم التعلق بغيره كائناً من كان «ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء»؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام حصل له جوع وحصل له مشقة وحصل له جهد ، حتى في قصة خيبر من يقرأ وقائع تلك الغزوة يدرك الجهد الذي لحق المسلمين إلى أن

أكرمهم الله سبحانه وتعالى بالنصر المبين . وأيضا ينالهم ما ينالهم من المرض ونحوه ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك اليوم جيء به إلى ساحة القتال يقاد لا يرى الطريق من الرمد الذي أصابه ؛ فهذا كله مثل ما قال الشيخ من أدلة التوحيد ، وأن التعلق واللجوء وطلب الشفاء وصرف العبادة لا يكون إلا لله ، لأن الأنبياء والأولياء لا يملكون لأنفسهم دفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورا فضلاً أن يملكوا شيئا من ذلك لغيرهم .

التاسعة عشرة : قوله ((لأعطين الراية)) الخ علَمٌ من أعلام النبوة .

قوله ((لأعطين الراية غدا رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه)) هذا علم من أعلام النبوة لأنه من الغد حصل الفتح على يد هذا الرجل الذي هذه صفته .

العشرون : تفله في عينيه علَم من أعلامها أيضا .

نعم لأنه عندما تفل عليه الصلاة والسلام في عينيه برئ ، جيء به وهو مصاب بالرمد فتفل في عينيه ودعا الله سبحانه وتعالى فشفاه الله .

الحادية والعشرون : فضيلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وهذا الحديث كما ذكر أهل العلم من الأحاديث الصحيحة العظيمة في بيان فضيلة علي؛ وذلك بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بتلك الشهادة ، وتنبيهاً أيضا لما سبق ها هو رحمه الله ينص على ذلك «الحادية والعشرون : فضيلة علي رضي الله عنه» .

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة ، وشُغلهم عن بشارة الفتح .

فضل الصحابة في دوكهم أي خوضهم تلك الليلة وشُغلهم عن بشارة الفتح ؛ فدوكهم تلك الليلة من الذي يعطاها ؟ هذا فيه فضل الصحابة لأنهم كلهم حريصون على ذلك الفضل وتلك المنقبة .

الثالثة والعشرون : الإيمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى .

«المسألة الثالثة والعشرون : الإيمان بالقدر» : أن الأمور بقدر الله «لحصولها» أي راية القتال «لمن لم يسع لها» علي رضي الله عنه لم يسعَ لها كان مصاباً بالرمد ولا حضر قول النبي صلى الله عليه وسلم ((لأعطين الراية غدا)) ، ما حضر ولم يسع رضي الله عنه وأعطي الراية ، ومُنعها من سعى إليها ؛ الصحابة جاءوا ذلك اليوم مبكرين كلهم يرجو أن يعطاها ما أعطوا الراية ؛ فهذا فيه الإيمان بالقدر وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : ((على رسلك)) .

لأن هذا فيه الأدب في القتال بالرفق والأناة والتمهل والبُعد عن الطيش والجلبة والأصوات العالية فقال له ((على رسلك)) .

الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الإسلام قبل القتال .

لأن النبي عليه الصلاة والسلام أمره بذلك ، قال له صلى الله عليه وسلم عندما أعطاه الراية: ((انفذ على رسلك ثم ادعُهم إلى الإسلام)) .

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

«أنه مشروع» أي دعوتهم إلى الإسلام «مشروع لمن دعوا قبل ذلك» ؛ لأن هؤلاء الذين في خيبر عدد منهم قد أجلوا من المدينة وبلَغتهم الدعوة إلى الإسلام ؛ فأُخِذ من ذلك أنه مشروع -أي الدعوة إلى الإسلام – لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا ، فهؤلاء في المدينة دُعوا وقوتلوا وأجلوا من المدينة ومع ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم ((أدعهم إلى الإسلام)) .

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة لقوله : ((أخبرهم بما يجب عليهم)) .

قوله في الحديث ((أخبرهم بما يجب عليهم)) هذا فيه الحكمة في الدعوة إلى الله فقال ((أخبرهم بما يجب عليهم)) ما قال أخبرهم بأن الله أمرهم بأوامر وإنما قال «بما يجب عليهم» أي أنَّ لله على عباده واجبات يلزمهم أن يعرفوها ويعملوا بها .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق الله في الإسلام .

وهذه المسألة أيضا مستفادة من الحديث قال : ((أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه)) ، وحق الله في الإسلام أن يطاع سبحانه وتعالى وأن تمتثل أوامره وأن يُنتهى عما نهى عنه سبحانه وتعالى .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

لقول النبي عليه الصلاة والسلام لعلي: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)) أي خير لك من الدنيا وما فيها .

الثلاثون : الحلف على الفتيا .

هذه آخر المسائل المستفادة من هذا الباب : الحلف على الفتيا ؛ وهي مستفادة من قوله صلى الله عليه وسلم ((فوالله)) .

وصلى الله وسلم على رسول الله .